

ابراهيم الامين

تفاهم لأجل التفاهم

والسعوديين في خلق بؤر تخترق هذا الهدوء، وظل الأمر ينتج انتصارات لهذا التفاهم، حتى وصل العماد عون إلى رئاسة الجمهورية.

قبل يومين، كنا في دفن الراحل مصطفى ناصر، في جبانة روضة الشهداء في الشياح. بين الحاضرين شخص تربطه صلة بنواب من تكتل التغيير والإصلاح. كان يعبر بضيق عما يجري في البلاد. صمت فجأة ثم قال: اتصل بي نائبان من التيار الوطني الحر، من دائرة بعدا، وسألاني: نود المشاركة في مراسم الدفن، فهل تعتقد أن مشكلة قد تواجهنا إذا حضرنا إلى هذه المنطقة؟

ما الذي حصل، ما الذي يحصل؟

خلال الساعات الطويلة التي تلت حفلة تسريب الخطاب السخيف لجبران باسيل، وما أعقبه من تصرفات أكثر سخافة، ولو جاءت في معرض الاعتراض، بدا أنه يوجد في بيتنا من لا يابأ حياة الناس، ومن لا يهتم لاستقرار البلاد، ومن يزعج الهدوء والعيش الواحد. وبدا أنه يوجد في بيتنا، من يقول لنا صراحة، إن تقليد خطب الثائرين، أو صراخ أبناء الأزقة، هو ما تطرب له أذناه. وبدا أنه يوجد في بيتنا، من يعتقد أن بالإمكان إعادة الأمور إلى لحظات الانهيار العام. وبينما يتراشق المتعارضون خطباً وحجارة ورساواً، كان أهلهم، يكون من رحلوا في الحرب المجنونة. وكان الجميع يعول، من جديد، على من بيده الحكمة والتبصر والأمر، وما هو الجمع، ينظر من جديد، من خلف غبار الشوارع وفوق الأصوات الصبيانية. ليبحث عن يدين، لرجلين، ليس في لبنان الآن، غيرهما، من يقدر على الخروج إلى الشرفة ورفع الصوت: كفى ولدنة!

ولأن ما يجري لا يتعلق بشعبية أو زعامة أو نفوذ، بل هو، في حقيقة من يقود الفتنة اليوم، محاولة نقل مراكز القوة من هذه الضفة إلى تلك، على قاعدة أن الحياة ساعة لك وساعة عليك، فإن المسؤولية ستلقى من جديد على عاتق عون ونصرالله. وهذه المرة، يحتاج تفاهم مار مخايل، وعلى عتبة ذكراه الـ12 إلى صيانة وعناية. الحقيقة أن جهتين كانتا عرضة للإقصاء والتأمر يوم ذهبنا بعقل نحو هذا التفاهم. لكنهما اليوم، في موقع السلطة وموقع النفوذ، وحاجتهما، كما حاجة البلاد، إلى تفاهم أوسع قاعدة وأعلى سقفاً من كل المآذن والصلبان.

لنعد بالزمن 12 عاماً. كانت الإشكالات شبه يومية بين شباب محليتي الشياح وعين الرمانة. لم يكن الجانبان يحتاجان إلى تمييز من يشتمونه في الجانب الآخر من الشارع. إلى أن، فجأة، في قلب كنيسة مار مخايل، على بعد عشرات الأمتار، وقّع الزعيمان، العماد ميشال عون والسيد حسن نصرالله، تفاهماً يظل استثنائياً في تاريخ لبنان المعاصر. وما بعده لم يعد كما قبله، فصار شباب المحلتين يتصرفون بطريقة مختلفة. حتى المتورون بينهم، كانوا مضطرين إلى التمييز بين هذا أو ذاك عند حصول إشكال.

خلال سنوات الحرب الأهلية المقيتة، لم تترك جماعة لبنانية جماعة أخرى من شرّها، قبل أن ينتقل الشرّ إلى قلب كل جماعة بنفسها. حتى صار الشرّ هو تريق العيش المشترك بين كل هذه الجماعات. لكن سنوات ما بعد الحرب، فرضت آلية خارجية لإدارة الحياة السياسية والأمنية والاقتصادية

خرج التفاهم بين عون ونصرالله ليقتله الباب على أي محاولة لاستعادة نار الحرب الأهلية

في لبنان. وكانت سوريا تملك تفويضاً أميركياً وسعودياً في إدارة الدفة، وتوزيع الغنم والغرم على جميع اللاعبين. فتقرر أن تحجب فلاناً عن المشهد، أو أن ترفع من شأن فلان، غير أبهة لغضب جمهور أو أهال أو ناس. بعد مقتل رفيق الحريري وخروج القوات السورية من لبنان، عاد اللبنانيون إلى هوية العيش المشترك بحب عنيف. وكادت الأمور تلامس حدود الانفجار مرات ومرات. لكن، في تلك الكنيسة الهادئة على تقاطع كله ضجيج، خرج التفاهم بين عون ونصرالله ليقتل الباب على أي محاولة لاستعادة نار الحرب الأهلية. ولما جربت إسرائيل تكرار احتلالها، كان هذا التفاهم أحد أبرز نقاط القوة في مقاومتها.

إلا أن التفاهم الموقّع بين حزب الله والتيار الوطني الحر لم يقتصر مفعوله الإيجابي على تنظيمين وأعضائهما وبعض الجمهور. لقد خلق مناخاً عاماً، ساد مساحات تتجاوز نصف لبنان، وفرض على الآخرين، من داخل الطوائف نفسها أو من طوائف أخرى، التعامل معه كحقيقة قادرة على منع أخذ البلاد نحو فتنة جديدة. حتى فشلت كل محاولات الأميركيين

الإسرائيلي عن أن «البلوك رقم 9 ليس للبنان، ومع ذلك لبنان يعمل على تلزيمة»، وهو موقف مكمل للموقف الذي أطلقه بزّي من طهران قبل نحو شهر حول سعي إسرائيل لمنع لبنان من استخراج نفطه. بدوره شدّد رئيس الحكومة سعد الحريري، على أن «ادعاء ليبرمان باطل شكلاً ومضموناً، وهو يقع في إطار سياسات إسرائيل التوسعية والاستيطانية لقمع حقوق الآخرين وتهديد الأمن الإقليمي». ولفت الحريري إلى أن «الحكومة اللبنانية سنتابع خلفيات كلام ليبرمان مع الجهات الدولية المختصة لتأكيد حقها المشروع بالتصرف في مياهاها الإقليمية، ورفض أي مساس بحقها من أي جهة كانت، واعتبار ما جاء على لسان ليبرمان هو الاستفزاز السافر والتحدي الذي يرفضه لبنان».

من جهته، رأى حزب الله أن تصريحات ليبرمان «تعبير جديد عن الأطماع الإسرائيلية المتواصلة في ثروات لبنان وأرضه ومياهه، وتندرج في إطار السياسة العدوانية ضد لبنان وسيادته وحقوقه المشروعة». وأعرب الحزب في بيان عن تأييده لـ«مواقف الرؤساء الثلاثة وبقيّة المسؤولين اللبنانيين ضد هذا العدوان الجديد، نجدد تأكيدنا لموقفنا الثابت والصريح في التصدي الحازم لأي اعتداء على حقوقنا النفطية والغازية والدفاع عن منشآت لبنان وحماية ثرواته». وشدّد وزير الطاقة والمياه سيزار أبي خليل، على أن «لبنان سيستخدم كل الوسائل المتاحة لدرء الاعتداء الإسرائيلي». ولفت أبي خليل إلى أن «كلام ليبرمان اعتداء موصوف على الحقوق اللبنانية ولن نرضى بأن يفرض أحد علينا أي قيود لاستغلال مواردها النفطية». وأكد أن «لبنان أبلغ الأمم المتحدة بإحداثيّة ترسيم حدوده البحرية، حتّى قبل أن تحدّد إسرائيل حدودها»، مؤكداً أن «أي اعتراض على حدودنا البحرية، سيبقى اعتداء على الورق، ولن يستطيع أحد تنفيذه على أرض الواقع».

(الأخبار)

مصادر التيار الوطني: نحن لدينا شارع أيضاً وقدترته على الاحتمال محدودة

الأعمال لا علاقة له بالحركة ويسيء إليها وللبنانيين». كلام بزّي كوّره النائب علي بزّي، ونقله عن لسانه بعد اجتماع الأربعاء، ثم عاد وأكدّه النائب هاني قنيسي في مداخلة تلفزيونية مساءً. وأكد بزّي أن «دولته كان يعمل دائماً خلال الأيام القليلة الماضية من

أجرى اتصالاً معنا أمس، وهو على اتصال بأمل». إلا أن مصادر حركة أمل أكدت لـ«الأخبار» أنه «لم نسمع بالوساطة حتى الآن». وعبرت مصادر التيار الوطني الحرّ عن سخطها بسب تطوّرات الشارع، مشيرة إلى أنه «كما لحركة أمل جمهور وشارع، نحن لدينا أيضاً جمهور وشارع، وقدرته على الاحتمال محدودة... فشيئاً خلقكم على يومين وخلص».

تطوّرات الشارع بدورها تقلق الرئيس نبيه بزّي، الذي قال كلاماً واضحاً أمس خلال لقاء الأربعاء النيابي بأن «الذين يتحرّكون في الشارع ويسيّئون للناس لا يمتّون إلى الحركة بصلّة، وهم لا يمثّلوننا». وقال بري بوضوح: «اعتذر من كل من تعرض لإساءة في الشارع ومن يقوم بمثل هذه

الحدث وقيام شبّان على دراجات نارية باستفزاز الأهالي في البلدة، أكدت مصادر في أمل لـ«الأخبار» أن «من أطلقوا النار ليل أمس كانوا شبّاناً من منطقة الحدث».

وبدا لافتاً الحديث عن أن الجيش اللبناني الذي كان من المفترض أن يقوم بتدابير أمنية مشدّدة نظراً لحساسية الموقف، كان قد قلّص من إجراءاته الأمنية أمس، إلا أن وحداته عادت ونفذت انتشاراً كبيراً في المنطقة بعد حدوث التوتّرات. وبعد أيام من جمود الوساطات المعتادة لحزب الله على خطّي التيار. أمل، أحدث حزب الله أمس اختراقاً أوّل باتصاله بمسؤولين رفيعي المستوى بالتيار الوطني الحر، داعياً إلى التهدئة ووقف الحملات الإعلامية. مصادر بارزة في التيار الوطني الحرّ أكدت أن «حزب الله

بعليكي، اتصل بقائد الجيش العماد جوزف عون، وأكد أن حركة أمل لا تغطي أحداً من المخلّين بالأمن، داعياً الجيش والأجهزة الأمنية إلى اعتقال كل من يوتّر الشارع. وأشارت إلى أن مسؤولي أمل في المناطق على اتصال بقيادة الأجهزة الأمنية في مناطقهم لمعالجة أي خلل. وقالت المصادر إن بعليكي قال لعون: «إذا كان هناك مُخلّون، فعليكم اعتقالهم، وفي كلّ منطقة توجد كاميرات مراقبة، فلتأتوا بالكاميرات وتعتقلوا المتورّين، لأن هذا يضرّ بنا ويضرّ اللبنانيين وبالأمن اللبناني، والحديث عن أن القوى الأمنية لا تريد الاصطدام بالشارع ليس مقبولاً، لأن هؤلاء يهدّدون السلم الأهلي ودولة الرئيس كان واضحاً برفع الغطاء عن أي مخلّ بالأمن».

(الأخبار)

أجل منع التحركات والتظاهرات والسيارات، وقد اتصل بالقيادات الأمنية عبر المسؤول الأمني في حركة أمل وبالجيش من أجل الحفاظ على مصالح البلاد وعدم التعرض للمواطنين في أي منطقة من المناطق». غير أن بزّي، أشار أيضاً إلى أن «بري يعتبر أن كل كلام يشاع حول استقالة الحكومة وغيرها غير صحيح، وهذا الموضوع لم يُناقش ولم يطلب من أحد اللجوء إلى هذا الخيار، ولكننا في السياسة ما زلنا على مواقفنا، وفي الملفات، لم ولن نتراجع قيد أنملة عن مقارباتنا الدستورية والنظامية والقانونية في كل هذه الملفات». ونفى بري أيضاً أي نية للاستقالة من الحكومة.

مصادر معنية في أمل أكدت لـ«الأخبار» أن مستشار بري، أحمد